مصطفى صادق الرافعي رائد الأدب الإسلامي

Mustafa Sadiq Al-Rafei: Pioneer of Islamic Literature

Dr. Umme Kulsoom Atika

Lecturer in Arabic,
Bibi Raza Degree College, Gulbarga, Karnataka - India.

Abstract

Mustafa Sadiq Al-Rafei is considered one of the most prominent pioneers of modern Arabic literature, blending authenticity with modernity in his literary and intellectual works. His style is distinguished by linguistic elegance and depth of meaning, drawing upon the rich Arab heritage while addressing contemporary issues with a renewed spirit. In his essays and literary letters, Al-Rafei explored themes of Arab identity, human values, and Islamic thought, making him a reference point for reformist and innovative literature of his era. He contributed significantly to the enrichment of Arabic prose and the development of expressive styles, using his writings to spread cultural and literary awareness among Arab readers. Today, Al-Rafei is regarded as a model of the intellectual writer who balances constructive critique with profound aesthetic sensibility.

Keywords: Mustafa Sadiq Al-Rafei, modern Arabic literature, literary prose, cultural renewal, reformist thought.

الملخّص

يعد مصطفى صادق الرافعي من أبرز أعلام الأدب العربي الحديث، حيث جمع بين البلاغة الرفيعة والعمق الفكري، وترك بصمة واضحة في مسيرة النهضة الأدبية.

ولد الرافعي في 1 يناير 1880م بقرية بهتيم بمحافظة القليوبية في مصر، ويمتد نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

نشأ في بيئة علمية وأدبية بفضل والده، الشيخ عبد الرزاق الرافعي، الذي كان قاضيا شرعيا وتولى رئاسة محكمة طنطا الشرعية. حفظ القرآن الكريم كاملا وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، وبرز نبوغه في علوم اللغة والفروع الدينية في سن مبكرة. على الرغم من نبوغه المبكر، لم يحظ الرافعي بتعليم نظامي طويل، حيث لم يحصل إلا على الشهادة الابتدائية. دخل المدرسة الابتدائية بعد تجاوز العاشرة من عمره. شكلت إصابته بمرض عضال في السنة التي حصل فيها على الشهادة الابتدائية نقطة تحول في حياته، حيث ألزمه الفراش أشهرا وأثر على قدرته في الكلام والسمع. تضاءل سمعه تدريجيا حتى فقده تماما قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره. إلا أن هذه الإعاقة لم تثنه عن مواصلة مسيرته العلمية والأدبية، بل كانت دافعا له نحو الاجتهاد والتحصيل الذاتي. فقد انكب على قراءة أمهات الكتب في التراث الأدبي والديني، وعوض نعمة السمع بنعمة النبوغ. استظهر الرافعي "نهج البلاغة" قبل أن يبلغ العشرين من عمره، ويذكر أنه كان يقرأ ثماني ساعات متواصلة يوميا، مما يدل على عزيمته القوية وإصراره على التعلم الذاتي.

يعد مصطفى صادق الرافعي من أبرز أعلام الأدب الإسلامي في العصر الحديث، فقد جمع بين البلاغة والفكر العميق، وأحاط كتاباته بالقيم الأخلاقية والدينية مستلهما القرآن الكريم والسنة النبوية، مدافعا عن اللغة العربية وتراثها الغني ضد محاولات التغريب والتشويه، ومبتكرا أسلوبا أدبيا فريدا يمزج بين القوة التعبيرية والعمق الفكري، بين الرصانة البلاغية والروعة الفنية، وقد انعكس ذلك في مؤلفاته الرائدة مثل 'وحي القلم' و'إعجاز القرآن' و'تحت راية القرآن'، حيث جسّد فيها مسؤولية الأدب في نشر القيم الإنسانية والنهضة الفكرية، فكان قدوة للأجيال ومرجعا للأدب العربي الحديث، تاركا إرثا ثقافيا وأدبيا خالدا يبرز التوازن بين الأصالة والمعاصرة، ويدل على أن الأدب الحقيقي لا ينفصل عن رسالة الحضارة والهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية

مصطفى صادق الرافعي ؛ الأدب الإسلامي الحديث ؛ النهضة الأدبية العربية ؛ الدفاع عن القرآن الكريم ؛ القيم الإسلامية في الأدب العربي ؛ التراث العربي و الإسلام ؛ الاسلوب الفني و الأدبي ؛ الجمال اللغوي و البلاغة ؛ السرد و القصة العربية ؛ الهوية الثقافية الإسلامية ؛ مواجهة التغريب الحضاري ؛ الإبداع الأدبي و الفلسفي؛.

مقدّمة

أهمية الأدب الإسلامي في العصر الحديث

لقد احتلّ الأدب الإسلامي في العصر الحديث مكانة بارزة، إذ أصبح وسيلة فاعلة للتعبير عن الهوية الثقافية والروحية للأمة، ومجالا لإبراز القيم الأخلاقية والإنسانية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة تيارات الغزو الفكري والتحديات الحضارية.

إنّ الأدب الإسلامي المعاصر لم يعد محصورا في حدود أدب الدين والوعظ ، بل اتسع ليشمل مختلف الأجناس الأدبية شعرا ونثرا ومسرحا ورواية، مساهما في صياغة وعي الأمة وإبراز دورها الرسالي في البناء الحضاري، مما منحه مكانة رفيعة في الساحة الفكرية العالمية.

لقد تبوأ الأدب الإسلامي في العصر الحديث مكانة عالية، إذ أصبح مصدرا لتجديد الوعي وإحياء القيم الأساسية في مواجهة تيارات الغرب والضعف الروحي، ومن أبرز أعلامه مصطفى صادق الرافعي الذي عدّ صوتا جهوريا للدفاع عن الإسلام ولغته وتراثه. فقد جمع الرافعي بين قوة البيان وعمق الإيمان ، فارتقى بأسلوبه الأدبي ليكون نموذجا يجسد رسالة الأدب الإسلامي في صورته المنورة.

و لا شك في أن أدبه قد كان مرآة للروح المسلمة، إذ عبّر عن خواطرها و خلجاتها وآمالها، وربطها بجذور العقيدة واليقين. كما ساهم في بناء وعي ثقافي حديث، جعل من الكلمة أداة إصلاح ومناضلة و مقاومة، ومن البيان وسيلة لنصرة الوطن و اللغة و الدين. ومن خلال كتبه ومقالاته، أرسى دعائم مدرسة أدبية إسلامية تحاكي العصر وتواجه تحدياته، لكنها في الوقت ذاته تعتز بأصالتها وتستمد قوتها من القرآن والسنة. ومن هنا غدت مكانة الأدب الإسلامي مع الرافعي علامة مضيئة في تاريخ الأدب العربي الحديث، تدلّ على قدرة الكلمة المؤمنة على الجمع بين الجمال الفني والالتزام الرسالي.

حياة مصطفى صادق الرافعي

ولادته و نشأته

ولد مصطفى صادق بن الشيخ عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي عام 1880م بقرية بهتيم بمحافظة القليوبية في بيت جده لأمه، ثم نشأ في طنطا حيث قضى معظم حياته. يتصل نسبه بالخليفة عمر بن الخطاب.

وقد التحق بالمدرسة الابتدائية في دمنهور عندما كان والده يعمل قاضيا هناك، وحصل على شهادتها بتفوق. أصيب في صغره بمرض التيفوئيد الذي ألزمه الفراش طويلا، وانتهى بفقدانه السمع تدريجيا حتى صار أصمّ تماما في الثلاثين من عمره. ورغم ذلك لم يتجاوز في تعليمه النظامي المرحلة الابتدائية، شأنه في ذلك شأن عباس محمود العقاد، غير أنّه عوّض قصور التعليم الرسمي بجهده الدؤوب وعزيمته القوية، فنهل من الثقافة على يد والده وواصل مسيرته الفكرية بإصرار، متجاوزا العقبات التي وقفت في طريقه.

مصطفى صادق الرافعي شغل وظيفة كاتب ومقدّر مالي لرسوم القضايا والعقود في محكمة طلخا، وهي وظيفة قضائية إدارية تتعلق بتقدير الرسوم المالية المقررة على العقود والمعاملات القضائية، إضافة إلى مهام التوثيق الكتابي. وقد وفرت له هذه الوظيفة الاستقرار المعيشي، كما منحته احتكاكا مباشرا بالبيئة القضائية واللغة القانونية، الأمر الذي صقل أسلوبه الأدبي، وأكسبه دقة التعبير وصرامة الحجة، وهي سمات واضحة في كتاباته.

خلفية مصطفى الرافعي

زمن الرافعي هو النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (1880–1937م)، وهو زمن شديد الأهمية في تاريخ الأدب العربي والفكر الإسلامي. فقد عاش الرافعي في مرحلة النهضة العربية الحديثة التي تزامنت مع ضعف الدولة العثمانية وبداية السيطرة الاستعمارية الأوروبية على العالم العربي، وخاصة الاحتلال البريطاني لمصر. كانت هذه المرحلة مليئة بالتحديات الفكرية والثقافية، حيث شهدت انتشار التيارات الغربية المادية والعقلية، ومحاولات التغريب الثقافي، إلى جانب حركة الإصلاح الإسلامي التي قادها رجال أمثال جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ورشيد رضا.

في هذا المناخ المليء بالصراع بين القديم والحديث، وبين الهوية الإسلامية والتيارات الوافدة، برز الرافعي كأحد أعلام الأدب الإسلامي المحافظ، مدافعا عن العقيدة واللغة والهوية العربية. فقد كان زمنه زمن معارك فكرية وأدبية حادة، انعكست بوضوح في كتاباته التي اتسمت بالغيرة على الإسلام والعربية، والرد على دعاة المادية والإلحاد، ومواجهة الأقلام الداعية إلى التقليد الأعمى للغرب.

أدب الرافعي

يعدّ مصطفى صادق الرافعي واحدا من أعلام الأدب العربي الحديث، فقد امتلك أسلوبا فريدا يجمع بين جلال البيان ورهافة الوجدان، حتى صار مدرسة قائمة بذاتها في فن التعبير والنقد، وأضحى مرجعا للدارسين والباحثين في بلاغة النثر العربي.

احتل الرافعي مكانة مرموقة في ساحة الأدب العربي، إذ مثّل صوتا صادقا للفكر والروح معا، وترك أثرا خالدا في مجال الكتابة الأدبية، حيث التقت في نصوصه قوة اللغة بعمق المعنى، فارتقى بأسلوبه إلى مصاف كبار الأدباء والشعراء في العصر الحديث.

يقول الدكتور بشّار في مقالة: " بدأ الرافعي شاعرا مشبوب العاطفة جزل الأسلوب مشرق العبارة يتقفى آثار الأولين وينسج على منوالهم، وكان قوي الأمل عظيم الطموح لا ينال شيئا إلا تاق إلى ما هو أفضل منه، وكان همه الأول أن يتربع على عرش الشعر، ويتوج بتيجان القوافي، وكانت عدته لذلك موهبة فنية راسخة مكينة، وعزيمة ماضية ذللت له الصعاب وجمعت عليه أطراف المعرفة وشتات العلوم وشوارد الأدب".

و قال أيضا: " بدأ يقول الشعر ولما يبلغ العشرين، وصدر ديوانه الأول وهو في الثالثة والعشرين، وقدم له بمقدمة مدهشة بسط فيها القول في نشأة الشعر وفنونه ومذاهبه، وكانت غريبة في بابها حتى توهم شيخ العربية في ذلك الوقت الشيخ إبراهيم اليازجي أن الرافعي إنما انتحل تلك المقدمة وسطا عليها من كتب الأقدمين، لأنها لا تشبه لغة عصره في شيء ".

و من خصائص أدب الرافعي:

- اللغة العالية والبيان البليغ :تميز أسلوبه بالجزالة والفصاحة، واستحضار روح التراث العربي في تراكيبه وألفاظه.
- النفس الإيماني والروح الإسلامية :كان أدبه انعكاسا لعقيدته وفكره الإسلامي، فغلبت على كتاباته القيم الروحية والأخلاقية.
- الصدق العاطفي وحرارة الشعور :سواء في نثره أو شعره، برزت قوة الانفعال وصدق التجربة الشعورية، خاصة في كتابه رسائل الأحزان وحديث القمر.
- العمق الفكري والتحليل النفسي :لم يكن يكتفي بوصف الظواهر، بل يغوص في أعماق النفس الإنسانية ويفسر حركاتها وانفعالاتها.
- النزعة النقدية والإصلاحية :ظهر ذلك بوضوح في معاركه الأدبية ومقالاته، حيث كان نصيرا للغة العربية وحاميا للبيان العربي من التغريب.
- التأثر بالتراث مع التجديد :جمع بين روح القديم وملامح الحديث، فاستقى من البلاغة القرآنية والبيان العربي، وصاغها في قوالب عصرية.
- القدرة التصويرية :تميّزت نصوصه بالصور الفنية البديعة والاستعارات الموحية التي تجعل القارئ يعيش الحالة الشعورية.

ملامح شخصية الرافعي الفكرية و الأدبية

لقد اتسمت شخصية الرافعي الفكرية بعمق الإيمان وصفاء الروح، إذ كان متشبثا بالهوية الإسلامية، مدافعا عن اللغة العربية دفاع الغيور، محيطا بأسرارها، مخلصا في استلهام القرآن والحديث مرجعا لأسلوبه وموضوعاته. وكان شديد الحس النقدي، حاضر الحجة، متوقد الذهن، مما جعله يدخل ميادين الدفاع عن العقيدة واللغة بصلابة فكرية ووضوح برهاني.

أما من الناحية الأدبية، فقد تجلّت ملامح شخصيته في أسلوب رفيع يمزج بين البيان القرآني ورقة الخيال الشعري، فكان قلمه يجمع بين الجزالة والروحانية، وبين الإيقاع الفني والعمق المعنوي. تميز بقدرة فائقة على التصوير البلاغي، وصياغة المعاني في قوالب بديعة تثير في القارئ الدهشة والانفعال. كما كان ذا نزعة وجدانية صوفية تتجلى في أدبه، ونزعة إصلاحية تجعله متصلا بقضايا أمته، فجمع بذلك بين الأديب المبدع والمفكر المصلح.

يقول الأديب العربي الكبير " الدكتور أيمن العتوم " عن ملامح شخصيته: " إن الإرث العائلي لعب دورا مهما في تشكيل شخصية الرافعي، وأن الشعور بعلوّ النفس كان حاضرا في مساره الأدبي" و يقول: " أن الرافعي أصيب بمرض التيفوئيد في طفولته وفقد سمعه واضطر لترك المدرسة، و بيد أن فقد السمع لم يخصم من نبوغ الطفل و أن هذا الوضع إنما دفعه للانعزال والاعتكاف على القراءة، لتضيف أستاذة الأدب " هدى عطية "كان يقرأ في القطار وفي المكتبة".

و يقول أحمد كريم بلال: " تزامن ظهور اسم الرافعي في الوسط الثقافي المصري مع احتدام السجال الفكري بين المحافظين والحداثيين.

وانسجاما مع إرثه العلمي والعائلي، انحاز الرافعي للتيار المحافظ فكان من أنصار المدرسة الكلاسيكية في الأدب، فهاجم طه حسين واتهمه بتسفيه الأديان وتكذيب التاريخ".

وما أصدق كلمات الأستاذ محمد سعيد العريان، حينما قال «عاش الرافعي في هذه الأمة وكأنه ليس منها، فما أدت له في حياته واجبا ولا اعترفت له بحق، ولا أقامت معه على رأي، وكأنما اجتمع له هو وحده تراث الأجيال من هذه الأمة المسلمة فعاش ما عاش ينبهها إلى حقائق وجودها على حين تعيش هي في ظلال التقليد وأوهام التجديد. ورضي هو مقامه منها غريبا ومعتزلا، لا يعرفه أحد إلا من خلال ما يؤلف من كتب وينشر في الصحف أو خلال ما يكتب عنه خصومه الأكثرون وهو ماض على نهجه لا يبالي.. ولا ينظر لغير الهدف الذي جعله لنفسه منذ يومه الأول، وهو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي في هذه العجمة المستعربة، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة

والضلال وما كان -رحمه الله- يرى في ذلك إلا أن الله قد وضعه في هذا الموضع ليكون عليه وحده حياطة الدين والعربية .. كأن ذلك "فرض عين" عليه وهو على المسلمين " فرض كفاية ".

الصلات الوثيقة بين التراث الإسلامي و اللغة العربية

"تمثل الصلات الوثيقة بين التراث الإسلامي واللغة العربية ركيزة أساسية في تاريخ الحضارة الإسلامية ومسيرتها الفكرية، فقد ارتبطت العربية بالرسالة الإسلامية منذ نزول الوحي، فكانت الوعاء المقدس الذي صاغ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، الأمر الذي منحها قداسة خاصة ومكانة فريدة بين لغات العالم.

ومن خلال هذا الارتباط العميق، أصبحت العربية لغة العلم والفكر والأدب في أرجاء العالم الإسلامي، ووسيلة للتعبير عن أدق المعاني العقدية والفقهية والفلسفية. كما ساعد التراث الإسلامي على توسيع معجم العربية وإغنائها بالمصطلحات والمفاهيم التي استوعبت شتى فروع المعرفة، فصار التلاحم بينهما سببا في حفظ هوية الأمة وصيانة ذاكرتها الحضارية، وأداة لنقل منجزاتها الثقافية إلى الأمم الأخرى. وهكذا لا يمكن تصور التراث الإسلامي بمعزل عن العربية، ولا العربية بمعزل عن التراث الإسلامي، إذ يشكلان معا وحدة متكاملة تشهد على تفاعل الدين واللغة في صياغة معالم الحضارة الإسلامية."

الهجمات الاستشراقية و الأفكار الغربية و الرد عليها للرافعي

كان الردّ من قبل مصطفى صادق الرافعي من الهجمات الاستشراقية والتيارات الغربية ردا واعيا ، و دفاعيا ومقاوما، و إنه انطلق من غيرته العميقة على التراث الإسلامي واللغة العربية معا.

فقد أدرك الرافعي أنّ الاستشراق لم يكن مجرد حركة علمية أو معرفية، بل كان في كثير من جوانبه أداة استعمارية تسعى إلى تقويض ثقة الأمة بتراثها وتشويه صورتها الحضارية، من خلال بثّ الشبهات حول القرآن الكريم، والطعن في اللغة العربية باعتبارها الحاملة لثقافة الإسلام.

ومن هذا المنطلق، كتب الرافعي نصوصا حادة وقوية، أبرزها في كتابه تحت راية القرآن، حيث واجه دعاة التغريب ومنظري الانبهار بالغرب، مبيّنا أن النهضة لا تقوم على استنساخ النموذج الأوروبي، وإنما على العودة إلى منابع القوة الأصيلة المتمثلة في القرآن الكريم واللغة العربية.

وقد اعتبر الرافعي أنّ التيارات الغربية الوافدة، ما لم تعرض على ميزان الإسلام وقيمه، ستؤدي إلى مسخ الشخصية العربية والإسلامية وإفقادها أصالتها. وهكذا غدا موقفه بمثابة صرخة فكرية وأدبية ضد التيارات المقلدة، ودعوة إلى بناء نهضة حقيقية تقوم على الأصالة والهوية، لا على التبعية والتقليد.

القيم الإسلامية في تأليفاته

انعكست القيم الإسلامية في كتابات مصطفى صادق الرافعي بوضوح، حيث جعل من القرآن الكريم والسنة النبوية مصدر إلهام لأفكاره وأساسا لرؤيته الحضارية. وقد ركّز في مؤلفاته على الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية الرفيعة مثل الصدق والعدل والوفاء والحرية المسؤولة، معتبرا أنّ النهضة الفكرية لا تنفصل عن النهضة الأخلاقية. كما جسّد في أدبه موقفا صلبا في الدفاع عن الهوية الإسلامية واللغة العربية، فواجه التيارات الغربية الوافدة والهجمات الاستشراقية بقلم صادق، وأكد أن التمسك بالأصالة هو السبيل لحماية الأمة وصيانة ثقافتها

و قال الدكتور عبد الرحمان البجاوي في إحدى مقالاته عن " قيم إسلامية في أدب الرافعي " :

لقد ساهم الرافعي مساهمة جليلة في الدفاع عن الفصحى ومحاربة الدعاوي التي نادت بالعامية، أو إيجاد لغة وسط بينها وبين الفصحى، أو نبذ الإعراب من أواخر الكلمات، أو استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية كما وجدنا عند أعداء لغة القرآن بداية من (ويليام ولكوكس) ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي وسلامة موسى ولويس عوض في مصر، واسكندر معلوف في سوريا ومارون عبود وسعيد عقل في لبنان ونهاية بأتاتورك في تركيا".

و قال أيضا: " وأفاض الرافعي في مجابهة خصوم الفصحى الذين حاولوا أن يثنوه عن (الجملة القرآنية) شارحا الأسباب التي أدت إلى ضعفها كالمستعمر الذي يهدم الأمة في لغتها وآدابها، أو النشأة على مثل منهج الترجمة في الجملة الإنجيلية، أو الجهل بفصاحة العربية لغة القرآن الذي أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته، وأكد أن القرآن والسنة النبوية المطهرة «يعملان في حياة أهل الأرض بنور متمم لما يعمله نور الشمس والقمر» وأن دنيا الصحراء ستلد الدنيا المتحضرة مصداقا لقول رسولنا (صلى الله عليه وسلم): «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل» وهو إشارة إلى انتشار الإسلام بعد ظلام آفاق الإنسان الروحية وسقوطه في حمأة المفاتن المادية، التي تطمس معانيه وكما يشيب النهار ويأتي الليل فلابد أن يبزغ فجر الإسلام الوضاء".

و قال الرافعي في كتابه: " احذري تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة، إنها انتهاء المرأة بغاية الظرف والرقة إلى...إلى الفضيحة. احذري تلك النسائية الغزلية، إنها في جملتها ترخيص اجتماعي للحرة أن ... أن تشارك البغيّ في نصف عملها.

أيتها الشرقية! احذري احذري "

و قال الدكتور عبد الرحمان عويس عن أسلوبه عن سيرة النبي صلى الله عليه و سلم: " إن الرافعي لا يتحدث عن النبي محمد صلى الله عليه

وسلم، ولا عن ظهور الإسلام وفلسفته كما يتحدث أساتذة التاريخ، وكتاب السير، بل يتحدث مازجا بين ظاهرة الوحي والظواهر الكونية الكبرى، واضعا النبي في موضعه الصحيح، فمحمد وجد في الإنسانية ينبوعا للنور المسمى بالدين، كما تطلع الشمس بأنوارها، فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار، وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها، وليس النبي إنسانا من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق، ومع المنطق الشك، ثم يدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة، ولكنه إنسان نجمي يقرأ بمثل "التلسكوب" في الدقة، معه العلم، ومع العلم الإيمان، ثم يدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها."

و يقول الكاتب الشهير العربي، الأديب اللبيب محمد خليل مشوح عن القيم الإسلامية في كتب مصطفى صادق الرافعي: " والرافعي -رحمه الله- مع ذلك كله كان له باع طويل في ميدان الإصلاح الاجتماعي المنطلق من ثقافته الإسلامية التي ربطت بين السلوك الاجتماعي والأدب الديني متصديا بذلك لمن يريد أن ينال من عاداتنا الإسلامية الأصلية، فله بذلك مقالات اجتماعية كثيره تشير في ثناياها إلى أن الرافعي كان مصلحا اجتماعيا فذا، أودّع قسما منها كتابه (المساكين) بالإضافة إلى مقالاته (الطائشة) و(الجمال البائس) ... وغيرهما، وقد تطّرق إلى بعض المشكلات الاجتماعية السائدة في عصره مثل زواج الشيوخ المسنين من الفتيات الصغار حيث يصوّر لنا الحوار التالي:

جـاءها خـاطبا وبين يديه قـام عزريل واعظا وخطيبا

وتصدّى لها فصدّت وقالت : قبح الشيخ أن يكـون حبيبا

قال:هذا المشيب نور،فقالت: أوقدوا في السراج هذا المشيبا

قال: إني أبو العجائب، قالت: وعجيب ألاّ تكـون عجيبا

يا أبا الهول،يا أخا الهرم الأكبـــــــر حسبي فقـد كفـاك عيوبـا

يـا نذير الممات يا وجعة القلب متى كنـت للقلـوب طبيبـا؟

أنت كالبـدر غير أنك ممحوق وكـالشمس أوشكت أن تغيبـا.

و يكتب أيضا: " ونستطيع أن نبين أهم السمات والملامح التي تميز بها أدب الرافعي كما يلي:

أولا: الأصالة الإسلامية: من أولى السمات وأبرزها وأوضحها في آداب الرافعي السمة الإسلامية، وهي تتضح منذ نشأته وحتى مماته. فبيته الذي نشأ فيه غرس فيه الروح الإسلامية، وظل ناشئا معها محاطا بها في كل أطوار حياته، ونرى السمة الإسلامية في نقده وثقافته، وفي إبداعه؛ وهو ما يدل على أنه كان يبغي وجه ربه في كتاباته، ومن هنا علّق على نشيده "ربنا إياك ندعو" فقال: إني أعلق أملا كبيرا على غرس هذه المعاني في نفوس النشء المسلم، فالرجل لم يكتب لشهرة ولا لمال ولا لمنصب؛ وإنما كان الإسلام هو دافعه وموجهه.

ثانيا: أصالة المعاني والألفاظ: إن من يقرأ أدب الرافعي ويتمعن في سمو معانيه ودقة ألفاظه يقول: إن هذا الرجل لم يعش في القرن العشرين؛ وإنما عاش معاصرا للجاحظ وابن المقفع وبديع الزمان، والدليل على ذلك أنه ما وجد أديب معاصر له قارب أسلوبه أو لغته أو فنه , فبرغم أن "العقاد"، قال عنه يوما "إنه ليتفتق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما يتفتق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها ".

ثالثا: القوة في الحق: وهي سمة بارزة في أدب الرافعي وفي كتاباته, كما أننا لم نجد في كتاباته مداهنة لأحد ولا خوفا من أحد

دفاعه عن القرآن الكريم

وقف مصطفى صادق الرافعي مدافعا عن القرآن الكريم دفاع العالم الغيور والأديب المؤمن، فرأى فيه معجزة خالدة تتحدى الزمان والمكان، وأفرد له صفحات جليلة في كتبه، أبرزها إعجاز القرآن و تحت راية القرآن، حيث تصدى للشبهات الاستشراقية ودحض مزاعم المشككين، مؤكدا أن القرآن هو مصدر الهداية، وأساس اللغة العربية وذروة إعجازها، وحصن الأمة المنيع في وجه كل محاولات الطمس والتغريب.

و قد قال أديبنا القيم الدكتور مصطفى صادق الرافعي في كتابه القيم " إعجاز القرآن الكريم " و أفاض في ذلك ما يزيد إيمان المؤمنين و و يقينهم، كما يكتب: " نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيرة معا ، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه ، إذا النور جملة واحدة ، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه عن طبيعته ، وهو في كل جزء من أجزائه جملة، لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من كدارها ، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال املأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل الشباب ، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة أبرزها في جلال الإعجاز ، وصورها بالحقيقة وانطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب ، وتحول التراكيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرا لا يقضى العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله، لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لما حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت التحضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لم يمضغ لها شبح ولا قيصوم، ورقة غير ما انتهى إليهم من أمر الحاضر ، وهذا معنى ليس اطهر في إعجاز القرآن فان اللغة لا تشب عن أطوار أهلها متى كانت من غرائزهم، وإنما تكون على مقدار ضعفا وقوة، لأنها صورتهم المتكلمة ، وهم صورتها المفكرة، فهي ألفاظ معانيهم، وهم في الحقيقة معاني ألفاظها، ولذلك لا تزيد عليهم ولا ينقصون عنها، ما دام رسمهم لم يتغير، وما دامت عادتهم لم تنتقل، فان سنح لامرئ من أهل النظر أن يستدل في لغة من اللغات على آثار أمتها بنوع من القيافة المعنوية، كما يستدل صاحب القيافة النظرية من الأثر في الطريق على مذهب صاحبه لا يخطئه، وعلى بعض صفاته لا يتعداها، فذلك ممكن لا تهن فيه القوة ولا يبلغ به الإعياء، متى هو تقدم فيه

بالذهن الثاقب، وتعاطاه بالقريحة النافذة، لأنه يستظهر من اللغة بالصفات على الموصوف، ويجعل المعروف قياسا لغير المعروف".

ومن أثر القرآن الكريم في توحيد كلمة العرب وتهذيب طباعهم يتحفنا الرافعي في "إعجاز القرآن" بهذه القبسات الملهمة:

ولولا القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد، حتى تنتفض الفطرة وتخبل الطباع ، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة، إذ لا يخلفهم عليها إلا من هو أشد منهم اختلاطا وأكثر فسادا ، وهكذا يتسلسل الأمر حتى تستبهم العربية فلا تبين ، وهي أفصح اللغات ، إلا يضرب من إشارة الآثار، وتنزل منزلة هذا (الهيرغليف) الذي قبره المصريون في الأحجار وأحيته هده الأحجار"

و كتب الدكتور الرافعي تحت العنوان " آداب القرآن الكريم " :

"آداب القرآن ترمي في جملتها إلى تأسيس الخلق الإنساني المحض الذي لا يضعف معه الضعيف دون ما يجب له ، ولا يقوى معه القوي فوق ما يجب له ، والذي يجعل الأدب عقيدة لا فكرا، إذ تبعث عليه البواعث من جانب الروح، ويجعل وازع كل أمر في داخله، فيكون هو الحاكم والمحكوم، ويرى عين الله لا تنفك ناضرة إليه من ضمير".

وكتب أيضا: " وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها، متسعة فيها، مكبرة شأنها، فما يأتي من ذلك إلا من روح التسلط في شعبها، والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته، وكونه سيد أمره ، ومحقق وجوده، ومستعمل قوته، والآخذ بحقه ، فأما إذا كان منه التراخي والإهمال وترك اللغة الطبيعية للسوقية، وإصغار أمرها وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والإكبار، فهذا شعب خادم لا مخدوم، تابع لا متبوع، ضعيف عن تكاليف".

أسلوب الجمال و بلاغة العربية للرافعي

تتميز كتابات مصطفى صادق الرافعي ببلاغة رفيعة وأسلوب أدبي متميز يجمع بين الرصانة الفكرية وسلاسة التعبير، فكان قلمه دقيقا في اختيار الكلمات، وراقيا في نسج الجمل، بحيث تتناغم المعاني مع الصور البيانية في انسجام فني متقن، ويظهر ذلك جليا في مقالاته وقصصه ونقده الأدبي، حيث يمتاز أسلوبه بالقوة في الطرح وعمق الرؤية، ما يجعل القارئ يستشعر معاني النص في أبهى صورها ويستمتع بجمال التعبير وسحر اللغة العربية.

لقد استطاع الرافعي أن يدمج بين البلاغة الكلاسيكية والحداثة في أسلوبه، فتنوعت أدواته الفنية بين السجع والطباق والجناس والمقابلة، ما أضفى على نصوصه رونقا وجاذبية، كما أتاح له ذلك إيصال الأفكار العميقة بأسلوب سلس وجذاب، يعكس إحساسه العالي بالمعنى واللفظ معا، ويجعل من القراءة تجربة فكرية وجمالية متكاملة، حيث تتحرك اللغة بين قوة البيان ونعومة الأسلوب لتخلق خطابا أدبيا نابضا بالحياة والروح.

و قال الدكتور أدهم الجندي عن أسلوبه : " كان نسيج وحده في أسلوبه المعجز، فاجتمع له هو وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية، فعاش ينبهها إلى حقائق وجودها، وقد أجد على الإسلام معاني لم تكن لتخطر على قلب واحد من علماء السلف، وكان مذهبه في الكتابة أن يعطي قراء العربية أكبر قسط من المعاني، ويضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وقد بلغ ما أراد، ولعل أحدا لا يعرف أن الرافعي لم يكن يرى في تلك العلة التي ذهبت بسمعه وهو لم يزل غلاما، إلا نعمة هيأته لهذا الينبوع العقلي الذي أملى به في تاريخ الأدب فصلا لم يكتب مثله في العربية منذ قرون، إذ لم يكن يمر به حادث يألم له أو يقع له حظ يسر به إلا كان له من هذا وذلك مادة للفكر والبيان؛ ليزيد بها في البيان العربي ثروة تبقى على الدهر، وقد قال الرافعي عن نفسه: إنه لا يمس من الآداب كلها إلا نواحيها العامة، ويخيل إليه دائما أنه رسول لغوي بعث للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، وأن عليه رسالة يؤديها، وله غاية أخرى هو عليها أقدر وبها أجدر. فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون حارسه وحاميه يدفع عنه أسباب الزيغ والضلال".

كان يعنى بتجويد عباراته ويبالغ في صقلها حتى تخرج في أروع صورة البيان العربي، وكان يرى نفسه من أول يوم أنه أديب الأمة، وظل كذلك يرى نفسه لآخر يوم".

يمكن تقسيم أسلوب الجمال وبلاغة اللغة العربية عند مصطفى صادق الرافعي إلى عدة أقسام رئيسية تعكس سماته الفنية ومهاراته التعبيرية. وإليك اقتراحا مفصلا:

أولا: جمال الأسلوب اللغوي

1- الثراء اللغوي: استخدام مفردات دقيقة وراقية تحمل المعنى بدقة، مع مراعاة الوزن الموسيقي للكلمة في الجملة.
2- التنوع الأسلوبي: المزج بين الأسلوب السردي والوصف البلاغي والخطابي، ما يمنح النص حيوية ويشد القارئ.
3- الانسيابية والانسجام: قدرة النص على الانسياب بسلاسة، بحيث تتتابع الأفكار والمعاني بشكل منطقي وجمالي.
4- الصور البيانية: توظيف الاستعارة، الكناية، والتشبيه لتقريب المعاني وإغناء النص بصور فنية بديعة.

ثانيا: بلاغة اللغة العربية

1- الإيجاز والبلاغة: صياغة الأفكار بشكل مركز ومؤثر، دون إسهاب مخل، مع استخدام التوكيد والتركيب البلاغي المناسب.
2- التوازن والتركيب الفني: الاهتمام بتوازن الجمل والفقرات، واستخدام الجمل المركبة بطريقة فنية دقيقة.
3- الموسيقى اللغوية: الاهتمام بالإيقاع الداخلي للكلمات، والانسجام الصوتي بين الحروف والجمل، مثل السجع والطباق والجناس.
4- القدرة على الإقناع والتأثير: استخدام اللغة كأداة لتوضيح الفكر ونقل المعاني الروحية والأخلاقية، مع التأثير في مشاعر القارئ وعقله.

أثر الرافعي في الأدب العربي الحديث

و لا شك في أن لمصطفى صادق الرافعي كان أثر بالغ في مسيرة الأدب العربي الحديث، إذ أسهم بقدر كبير في إحياء اللغة العربية وإثرائها بالمفردات والأساليب الرفيعة، كما أعاد للأدب روح البلاغة والجمال الفني الذي يواكب العصر دون أن يفقد أصالته.

فقد أبدع في مقالاته وقصصه ونقده الأدبي، فجمع بين القوة التعبيرية والعمق الفكري، وخلق مدرسة أدبية قائمة على الدمج بين الفكر واللغة والفن، مع الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية. كما أسهم الرافعي في تنوير الأجيال وإثراء وعيهم الثقافي، من خلال اهتمامه بالقيم الأخلاقية والدينية في أدبه، والدفاع عن القرآن الكريم والتراث العربي، ما جعله نموذجا للأديب المفكر الذي لا ينفصل فيه الأدب عن رسالة الحضارة والإنسانية. وبفضل جهوده، أصبح الأدب العربي الحديث أكثر ثراء وعمقا، قادرا على مواجهة التيارات الوافدة وتقديم خطاب حضاري متزن بين الأصالة والمعاصرة.

كان لمصطفى صادق الرافعي أثر بالغ في مسيرة الأدب العربي الحديث، إذ أسهم بقدر كبير في إحياء اللغة العربية وإثرائها بالمفردات والأساليب الرفيعة، كما أعاد للأدب روح البلاغة والجمال الفني الذي يواكب العصر دون أن يفقد أصالته.

فقد أبدع في مقالاته وقصصه ونقده الأدبي، فجمع بين القوة التعبيرية والعمق الفكري، وخلق مدرسة أدبية قائمة على الدمج بين الفكر واللغة والفن، مع الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية. كما أسهم الرافعي في تنوير الأجيال وإثراء وعيهم الثقافي، من خلال اهتمامه بالقيم الأخلاقية والدينية في أدبه، والدفاع عن القرآن الكريم والتراث العربي، ما جعله نموذجا للأديب المفكر الذي لا ينفصل فيه الأدب عن رسالة الحضارة والإنسانية. وبفضل جهوده، أصبح الأدب العربي الحديث أكثر ثراء وعمقا، قادرا على مواجهة التيارات الوافدة وتقديم خطاب حضاري متزن بين الأصالة والمعاصرة.

مكانته الرافعي بين أعلام النهضة الأدبية

تبوأ مصطفى صادق الرافعي مكانة بارزة بين أعلام النهضة الأدبية في مصر والعالم العربي، فهو من بين الأدباء الذين جمعوا بين الأصالة والحداثة، وأعادوا للغة العربية مكانتها وجمالها في عصر التجديد. وقد اشتهر الرافعي بأسلوبه المتميز الذي يجمع بين البلاغة والفصاحة والعمق الفكري، كما كان لاهتمامه بالقيم الإسلامية والأخلاقية أثر واضح في إثراء الأدب العربي، مما جعله نموذجا للأديب المفكر المتزن الذي يوازن بين الفكر والفن والرسالة الإنسانية. ويميزه عن غيره من رواد النهضة الأدبية دفاعه الحازم عن اللغة العربية والتراث الإسلامي، وقدرته على مواجهة التيارات الغربية المستوردة بأسلوب فني جذاب، ما جعله أحد أبرز الشخصيات التي ساهمت في إعادة بناء وعي الأدب العربي الحديث وتعميق جذوره الحضارية.

النتائج:

يمكن اقتراح نتائج للمقالة "مصطفى الرافعي رائد الأدب الإسلامي" على النحو التالي:

1- إعادة إحياء اللغة العربية والبلاغة: ساهم الرافعي في تعزيز مكانة اللغة العربية وإبراز جمالها وبلاغتها في العصر الحديث، من خلال أسلوبه المتميز وثراء مفرداته.
2- التمسك بالقيم الإسلامية: جسد في كتاباته القيم الدينية والأخلاقية، مؤكدا على أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدر للنهضة الفكرية والأدبية.
3- مواجهة التغريب والهجمات الاستشراقية: تصدى الرافعي للشبهات الغربية والاستشراقية التي حاولت تشويه التراث الإسلامي، مدافعا عن الهوية الثقافية للأمة.
4- التجديد الأدبي والفكري: جمع بين الأصالة والحداثة، فابتكر أسلوبا أدبيا يمزج بين الفكر العميق والسرد الجمالي، مما أثرى الأدب العربي الحديث.
5- تأثيره على الأجيال اللاحقة: ترك إرثا أدبيا وفكريا خالدا، وأصبح نموذجا للأديب المفكر الذي يوازن بين الرسالة الأدبية والهوية الدينية والثقافية.

و لا شك في أن أديبنا اللبيب الدكتور " مصطفى صادق الرافعي " "لقد أظهر من خلال كتاباته رائدية حقيقية في الأدب الإسلامي الحديث، إذ أسهم في إحياء اللغة العربية وإبراز بلاغتها و جمالها، وجسّد القيم الإسلامية والأخلاقية في نصوصه، مدافعا عن القرآن الكريم والتراث العربي من محاولات التغريب والاستشراق، كما جمع بين الأصالة والحداثة ليبتكر أسلوبا أدبيا متفردا أثرى الأدب العربي الحديث، تاركا إرثا فكريا وأدبيا خالدا شكّل نموذجا للأديب المفكر الذي يوازن بين الرسالة الأدبية والهوية الثقافية والدينية".

النهاية

وفي الختام، يتضح أن مصطفى صادق الرافعي يمثل نموذجا فريدا للأديب المفكر في العصر الحديث، فقد جمع بين الإبداع الأدبي والعمق الفكري والتمسك بالقيم الإسلامية، فترك أثرا لا يمحى في مسيرة الأدب العربي الحديث. لقد جسّد من خلال أعماله البلاغة والفصاحة، وواجه الهجمات الاستشراقية والدعوات التغريبية، محافظا على الهوية الثقافية للأمة، ومؤكدا أن النهضة الحقيقية تقوم على الأصالة والتمسك بالتراث مع مواكبة العصر، مما يجعل إرثه الأدبي والفكري مصدر إلهام للأجيال الحالية والمقبلة.

توصيات و مقترحات

و يناسب لي كباحث أن أقدّم صياغة لتوصيات ومقترحات متعلقة حول مصطفى صادق الرافعي رائد الأدب الإسلامي في العصر الحديث:

توصيات:

1- ضرورة دراسة أعمال الرافعي بعمق لإبراز دوره في إثراء الأدب العربي الحديث وتعزيز الهوية الإسلامية.
2- تشجيع الباحثين والطلاب على الاطلاع على مؤلفاته وتحليل أسلوبه البلاغي والفكري للاستفادة منه في الدراسات الأدبية والدينية.
3- إدراج مناهج تعليمية أو مواد ثقافية تبرز مساهماته في الأدب والفكر الإسلامي في المدارس والجامعات.

مقترحات:

1- إعداد بحوث مقارنة بين أسلوب الرافعي وأسلوب أعلام النهضة الأدبية الآخرين لفهم تأثيره وأصالته.
2- تنظيم ندوات وورش عمل حول البلاغة والجمال الفني في كتاباته لتوعية الأجيال الجديدة بأهمية اللغة العربية في حفظ التراث الإسلامي.
3- ترجمة بعض مؤلفاته إلى لغات أخرى لتعريف العالم بإسهاماته الأدبية والفكرية، وتعزيز مكانة الأدب الإسلامي عالميا.

المصادر و المراجع

1) عشقي، أنور ماجد، " مصطفى صادق الرافعي: أديب كتب تحت راية القرآن " مجلة الفيصل سنة 1991، ص 45
2) الرافعي، مصطفى صادق، " تحت راية القرآن " نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة : 2001م، ص: 105
3) الرافعي، مصطفى صادق، " وحي القلم " نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة : 1999م، ص: 59
4) الدسوقي، عمر، " الأدب الحديث، المجلد الخامس، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 2000م، ص: 111
5) السطوحي، عبد الستار علي، " الجانب الإسلامي في أدب مصطفى صادق الرافعي " نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة: 1970م، ص: 79
6) البدري، مصطفى نعمان " الرافعي الكاتب بين المحافظة و التجديد " نشر: دار جيل، بيروت، سنة: 1991م، ص: 200
7) "مصطفى صادق الرافعي"، مجلة آفاق الإسلام، عدد 4، 1993، ص: 220
8) مخلوف، حسنين حسن، " مصطفى صادق الرافعي، حياته و أدبه " نشر: دار الهلال، مصر، سنة: 1976م، ص: 166
9) الدكتور مصطفى الشكعة، " مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا و مفكّرا إسلاميا " نشر: الدار المصرية اللبنانية، سنة : 1999م، ص: 89
10) العربان، محمد سعيد، " حياة الرافعي " نشر: دار الفكر العربي، مصر، سنة 1955م
11) البدري، مصطفى نعمان، " الإمام مصطفى صادق الرافعي " نشر: دار البصري، بغداد، سنة : 1965م، ص: 100